Volume (25), No. (2A) - (June)/(2025)

التفسير البلاغي للجمل الإنشائية في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة

التفسير البلاغي للجمل الإنشائية في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة

المعتصم بالله دبش, نزار عبدالله صالح
أردني; جامعة العلوم الاسلامية العالمية
Almotasemdabash@yahoo.com, test@email.com

*(Corresponding author) e-mail: Almotasemdabash@yahoo.com

الملخّص

تناولت هذه الدراسة مجموعة من الجُمل الإنشائية الواقعة في الآيات القرآنية التي افتُتِحَت بلفظ الجلالة: (اللّه، واللّه، ولله)، وبيّنَ الباحث من خلالها أقوال المفسّرين وعلماء البلاغة في توجيهها البلاغي، مُشيراً إلى اللطائف المستمدّة من هذه التوجيهات البلاغية وبيان أثرها على تفسير هذه الآيات.
وبعد الاستقراء فإن الدراسة ستتمحور حول مناقشة مسائل البلاغة في الجمل الإنشائية في هذه الآيات، والتي تنحصر فيها ضمن جانبَي: (الاستفهام) و (الأمر) فقط.
وقد خلُصت الدراسة إلى أن أحوال الجُمل الإنشائية كما أنّ منها ما جاء على حقيقته، فإن منها ما يحمل معاني وأغراض بلاغية لها الأثر الواضح على مدى تأثير هذه الآيات في النفس ووقعها في الوجدان.
كلمات مفتاحيّة: البلاغة، التفسير، الإنشاء، الاستفهام، الأمر

ABSTRACT

This study examines a set of declarative sentences found in Qur'anic verses that begin with the name of Allah: (Allah, and by Allah, and to Allah). The researcher highlights the interpretations provided by exegetes and scholars of rhetoric, focusing on their rhetorical analysis. Additionally, the study sheds light on the subtleties derived from these rhetorical insights and their impact on the interpretation of these verses. Upon investigation, the study centers on discussing rhetorical aspects of declarative sentences in these verses, which are limited to two forms: (interrogative) and (imperative). The study concluded that the declarative sentences in the Quran, some of which convey their literal meaning, while others carry rhetorical purposes. This uniqueness is a hallmark of the Quranic style.
Keywords: Rhetoric, Exegesis, the performative sentences.

Article history:

Submission Date: 22/11/2024

Reviewing Date: 18/01/2025

Revision Date: 02/05/2025

Acceptance Date: 23/04/2025

Publishing Date: 01/06/2025

DOI:

Keywords:

Funding:

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Competing interest:

No competing interests exist.

Cite as:

دبش، ا.، صالح، ن. (2025) التفسير البلاغي للجمل الإنشائية في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة. Studies and Research for Jersah, 25 (2A)..

© The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact admin@jpu.edu.jo.

التفسير البلاغي للجُمل الإنشائية في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة

الباحث المعتصم بالله مصطفى خليل دبش

أ.د. نزار عبدالله صالح/ جامعة العلوم الإسلاميّة العالمية – عمّان

تاريخ الاستلام 22-11 -2024 **تاريخ القبول 25-01-2025**

الملخص

تناولت هذه الدراسة مجموعة من الجُمل الإنشائية الواقعة في الآيات القرآنية التي افتُتِحَت بلفظ الجلالة: (الله، والله، ولله)، وبيّنَ الباحث من خلالها أقوال المفسّرين وعلماء البلاغة في توجيهها البلاغي، مُشيراً إلى اللطائف المستمدّة من هذه التوجيهات البلاغية وبيان أثرها على تفسير هذه الآيات. وبعد الاستقراء فإن الدراسة ستتمحور حول مناقشة مسائل البلاغة في الجمل الإنشائية في هذه الآيات، والتي تنحصر فيها ضمن جانبَي: (الاستفهام) و (الأمر) فقط. خلصت الدراسة إلى أن الجمل الإنشائية في القرآن الكريم، بعضها جاء بمعناه الحقيقي، بينما يحمل بعضها الآخر أغراضًا بلاغية، وهذا مما تفرّد به الأسلوب القرآني.

كلمات مفتاحيّة: البلاغة ، التفسير ، الإنشاء ، الجملة الإنشائية.

Rhetorical interpretation of the performative sentences in the verses that begin with the term majesty

Abstract

This study examines a set of declarative sentences found in Qur'anic verses that begin with the name of Allah: (Allah, and by Allah, and to Allah). The researcher highlights the interpretations provided by exegetes and scholars of rhetoric, focusing on their rhetorical analysis. Additionally, the study sheds light on the subtleties derived from these rhetorical insights and their impact on the interpretation of these verses. Upon investigation, the study centers on discussing rhetorical aspects of declarative sentences in these verses, which are limited to two forms: (interrogative) and (imperative). The study concluded that the declarative sentences in the Quran, some of which convey their literal meaning, while others carry rhetorical purposes. This uniqueness is a hallmark of the Quranic style.

Keywords: Rhetoric, Exegesis, the performative sentences.

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فإن المظهر الأعظم لإعجاز القرآن العظيم هو مظهر البلاغة، والتي تفرّد بها القرآن فكان مختلفاً عن سائر أنماط الأدب والبيان التي كان يتعاطاها العرب وأساطين البلاغة ويتبَاهَون بها، فعندما نزل هذا القرآن على النبي العدنان صلى الله عليه وسلم ، نزلَ عليهم بلسانٍ عربيٍّ مبين، فلم يجدوا إلا التسليم والخضوع أمام جلال ألفاظه، وجمال نظم آياته، وفصاحة مفرداته، ومتانة نظمه، وانتظام دلالاته، وحسن بيانه، ودقة تعبيره.

ولقد اختار الباحث الآيات التي افتُتحَت بلفظ الجلالة، مع محاولة التعامل مع دقائق مسائل الجمل الإنشائية التي وردت فيها، لما فيها من تفاصيلَ توضّح جمال البلاغة القرآنية، وعرضِ أقوال علماء التفسير وشيوخ البلاغة لتحليل نظراتهم، مع مناقشة هذه المسائل نقاشاً علمياً هادئاً.

وبعد استقراء القرآن كاملاً تبيّن للباحث أن ثمة جملاً إنشائيةً تحمل أغراض بلاغية تعين على بلوغ مقصود الآية إلى الفهم وولوج معناها إلى الفؤاد.

أهميَّة الدراسة:

تظهر أهميَّة الدراسة من خلال الأمور الآتية:

1 - أنَّها تتناول جزء من علم المعاني البلاغة، من خلال إبراز مسائل الجملة الإنشائية، ومناقشتها وتحليلها واستنباط معانيها، للوقوف على الآيات وتجليتها، وإظهار أقوال العلماء حولها.

2- أنّها تبحث في جانبٍ مهمٍّ لطالب علم التَّفسير، وهو القدرة على النظر في بلاغة الجملة الإنشائية التي يكثر ورودها في القرآن الكريم، وذلك من خلال البحث وإمعان النَّظر وإجالة الفكر.

3- مواصلة البحث في البلاغة القرآنية وتعميق ما أسس العلماء والمفسرون من قواعد وتحليلات حولها، والبناء عليه.

مشكلة الدراسة:

تجيب هذه الدراسة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما أبرز القضايا البلاغية المتعلقة **بالجملة الإنشائية** في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة ؟

وتحت هذا السؤال تجيب عن الأسئلة الفرعية الآتية:

1 – ما أبرز القضايا المتعلقة **بأسلوب الاستفهام** في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة ؟

2 - ما أبرز القضايا المتعلقة **بأسلوب الأمر** في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة ؟

- وقد اختيرت الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة لبيان جمال أسلوب الجملة الإنشائية فيها، وذلك لما تحملة من جمال الأسلوب القرآني وتناسق الألفاظ مع المعاني.

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال أهداف الدراسة على النحو الآتي:

1 – بيان وتحليل المسائل المتعلقة **بالجملة الإنشائية** في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة ؟

2 - إيضاح وتفصيل المسائل المتعلقة **بأسلوب الاستفهام** في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة ؟

3 – مناقشة وتحليل المسائل المتعلقة **بأسلوب الأمر** في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة ؟

- وقد اقتصر الباحث في دراسته على تحليل أسلوبي الاستفهام والأمر، نظراً لأن الجُمل الإنشائية في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة تقتصر عليهما دون غيرهما

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع إلى المنظومات المتخصصة في البحوث والرسائل الجامعية، وبعد البحث حول أسماء المؤلفات وجهود المؤلفين ضمن الشبكة العنكبوتية، لم يقف الباحث - فيما توصَّل إليه - على أي دراسة تخصصت في البلاغة القرآنية - أو أحد فروعها - في الآيات المُفتَتَحة بلفظ الجلالة تحديداً، ولكن وُجدت مجموعة من الدراسات التي ناقشت موضوع الجملة الإنشائية في القرآن الكريم، أذكر منها تمثيلاً لا حصراً:

- كتاب أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (غرضه وإعرابه)، لعبد الكريم محمود يوسف.
- رسالة دكتوراه: أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، للباحث: محمد ابراهيم البلخي، إشراف: د. محمود عبد السلام، كلية اللغة العربية – الجامعة الإسلامية العالمية – باكستان
- رسالة دكتوراه: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، للباحث يوسف عبد الله الأنصاري، إشراف: د.صباح عبيد، جامعة أم القرى – مكة المكرمة
- بحث: أسلوب الأمر في القرآن (الإهانة والتكريم أنموذجًا)، للباحث: علي عبد السلام، المجلة العلمية لعلوم الشريعة - ليبيا

منهجية الدراسة:

سيعتمد الباحث في الدراسة على ما يأتي:

- **المنهج التحليلي:** حيث سيحللُ الباحثُ ما تحتوي عليه الجمل الإنشائية في الآياتُ المفتَتَحةُ بلفظ الجلالة من قضايا بلاغية، وذلك بالاستعانة بكتب التفسير والبلاغة واللغة، واستخراج ثمرة النظر فيها.
- **المنهج المقارن:** حيث سيقوم الباحث بمقارنة الأقوال في مواطن الاختلاف في قضايا البلاغة بين المفسرين – إن وُجدت – ومن ثَمَّ الخروج بالرأي الذي يتوصل إليه من خلالها، وفق قواعد المنهج العلمي السليم.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان الدراسة:

أولاً: تعريف التفسير البلاغي:

1 – تعريف التفسير لغةً:

من فَسَرَ، من الفسر: وهو البيان، فسَّر الشيء يفسّرُهُ أي: أبانه، والفسر: هو كشف المغطى، والتفسير: كشفُ المراد عن اللفظ المُشكل[1]، قال تعالى: (وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا) [الفرقان:33].

قال ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه"[2]، فالتعريف اللغوي يدور حول الكشف والإيضاح والإبانة، وهي مقصد التفسير بمعناه الاصطلاحي كما سيأتي.

2 – تعريف التفسير اصطلاحاً:

لا يبعُد التعريف الاصطلاحيُّ للتَّفسير عن المعنى اللغوي له، وإنَّما تعلَّق بمعارف القرآن الكريم وعلومه، وطرح كلّ واحدٍ من العلماء طرحَه المميّز في تعريفه للتفسير:

عرَّفه الزَّركشي بأنَّه "علمٌ يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيّه محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[3]، فتمحوَر التعريف لديه على اعتبار أنه تعريفٌ يحمل الفهم والبيان واستخراج الحِكَم والأحكام.

وعرَّفه الزُّرقاني في مناهل العرفان أنه: "علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطَّاقة البشريَّة"[4].

وليس المقصود القطع بأنّ جهد المفسر هو مراد الله، إنما معرفة المراد أمرٌ اجتهاديٌ، يمرّ المفسر قبله على مأثور التفسير، لكنّ المسألة تتعلق بشرف العلم المرتبط بكتاب الله بقدر الطاقة البشرية التي يهبها الله تعالى للموفّقين من أهل العلم.

وقد ذكر العلماء قديماً وحديثاً جملةً من التعريفات تدور حول التعريفين السابقَين، ويلخّص الباحث مفادها بما يجمع أركان التعريفات المذكورة بأن التفسير: هوعلم يُعنى بفهم كتاب الله تعالى، ويتناول بيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، معتمداً على أدوات منهجية لفهم النص القرآني ويهدف إلى الكشف عن مراد الله بقدر ما تتيحه الطاقة البشرية من فهم واستنباط، فهو دراسة شاملة للقرآن الكريم في ضوء قدرات الإنسان وحدود علمه، محاولاً الجمع بين النصوص والدلالات للوصول إلى فهم عميق ومتكامل لمعاني الوحي.

3 – تعريف البلاغة لغةً:

على وزن فَعَالة، وهي مصدر بلُغ، وكلام بلغٌ وبليغٌ في معنىً واحدٍ[5]، ونقول: بَلُغ القول يبلغ فهو بليغ: إذا استحكم، والرَّجل البليغ: الذي يبلغ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه[6] قال تعالى: (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً)]النساء: 63[.

وأصل معنى البلاغة: الوصول والانتهاء إلى المراد[7] ،وقد ورد كذلك في قوله تعالى: (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ)]النحل: 7[. وعليه... يمكن القول أن البلاغة سميَّت بهذا الاسم، لأنَّ المعنى يصل إلى قلب السَّامع بالقدر المراد ليتم فهمه بالشكل المطلوب.

يتبيَّن من التعريفات اللغوية أن البلاغة تشمل الكلام والمتكلِّم، حيث يُقال "كلام بليغ" للدلالة على القول الذي يبلغ الغاية في إيصال المعنى بإحكام، و"رجل بليغ" لوصف الشخص الذي يعبر عن معانيه بمهارة ووضوح. في كلا الحالين، تتحقق البلاغة بوصول الرسالة إلى المراد بأسلوب مؤثر ومقنع، سواء في صياغة الألفاظ أو في القدرة على التعبير. وهذا يوضح أن الهدف النهائي للبلاغة، سواء في الكلام أو المتكلّم، هو تحقيق أعلى درجات الإتقان اللغوي الذي يقترب من حد الإعجاز.

4 – تعريف البلاغة اصطلاحاً:

تعددت كذلك عبارة العلماء في التعريف، يذكرها الباحث متتالية، ثم يسلط الضوء على الخلاصة من مجموع فوائدها:

لقد عرّفها الجاحظ أنَّ البلاغة "إصابة المعنى والقصد إلى الحجَّة دون فضل أو تقصير"[8]، وعرَّفَها الرمّاني أنها: "إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورة من اللفظ"[9]، كما عرَّفها العسكري بأنَّها: "كلُّ ما تبلّغ به المعنى قلب السامع، فتُمكِّنه في نفسه كما تُمكِّنه في نفسك، مع صورةٍ مقبولةٍ ومعرضٍ حسنٍ"[10]، وذكر القزويني في الإيضاح أنّها: "مطابقته لمتقضى الحال مع فصاحته"[11]، وهو الأشهر.

وكلّ تعريفٍ مما سبق يسلط الضوء على زاويةٍ معيّنة، فهي عند الجاحظ التحديد وعدم القصور في اللفظ والمعنى، أما الرمَّاني فيركز على حسن صورة اللفظ، ثم جاء العسكري فركّز على أن مقصود البلاغة تمكين المعنى في قلب السامع، وختم القزويني بتعريفه بجمعِ ذلك كله بتفرّد.

وباستخلاص ما سبق من تعريفات علماء البلاغة يخلص الباحث إلى أن المعنى الاصطلاحي للبلاغة أنه: علمٌ يُعنى بإيصال المعنى إلى قلب السامع بأبلغ أسلوب، مع تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وخلوّه من الحشو، وصولاً إلى ترسيخ المعنى في نفس المتلقي كما هو متمكن في نفس المتكلم، مع الحفاظ على فصاحة التعبير وجمال العرض.

5 – تعريف تركيب (التفسير البلاغي):

إن تركيب (التفسير البلاغي) لم يكن مستخدمًا لدى المتقدمين، لكنه كمنهج تجده حاضراً في مؤلفاتهم، لا سيما كتب التفسير، فإذا استعرضنا أعمالهم، نجد أن الكثير من المفسرين، كالزمخشري (ت: 538هـ) في "الكشاف"، والبيضاوي (ت: 685هـ) في "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وأبي حيان (ت: 745هـ) في "البحر المحيط"، وأبي السعود (ت: 982هـ) في "إرشاد العقل السليم"، وغيرها، وقد قدموا استنباطات تعتمد على الأسلوب البلاغي، وإن لم يطلقوا عليها هذا الاسم، هذه التوجيهات البلاغية تتوزع في كتبهم دون أن تُجمع تحت عنوان محدد، كما يُعدّ التفسير البلاغي أحد فروع التفسير بالرأي، حيث يجمع بين النقل المأثور والفهم العقلي، مما يتيح مساحة واسعة لتوظيف العقل في استنباط المعاني من النصوص القرآنية.

لكنّ الكتب المعاصرة حدّدت بعضاً من معالم الاتجاه البلاغي في التفسير وهو الذي يمكن أن نستدلَّ عليه لبيان المعنى العام للتَّفسير البلاغيُّ، حيث أوضح بعضهم بأنَّه المنهج الذي يتناول بلاغة القرآن الكريم بدراسة صورِهِ البيانيّة، كالتشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل، مع تحليل قضايا الوصل والفصل، واستكشاف الاستعمالات الحقيقية والمجازية، واستجلاء الصور البيانية وتقويم بنية النص، بالإضافة إلى تحقيق العلاقات اللفظية والمعنوية، والكشف عن الدلالات السياقية والمقالية في النص القرآني[12]. فهو نمط تفسيري يركز على الجانب البلاغي، وهو جانب الإعجاز الأشهر والأظهر.

وكما أسهم اللغويون والنحاة عبر التاريخ في خدمة كتاب الله نظراً وتفسيراً، فلن تجد أنّ إسهام الجهود في التفسير البلاغي أقل من ذلك، بل ربما زاد عنه[13]، إذ إن الجانب البلاغي في التفسير يفتح أمام الناظر المتدبر آفاقاً سيكون النص مغلقاً أمامه بدونها، فترى التفسير البلاغي يكشف عن جمال التعبير ودقة التصوير في النصوص القرآنية، ويساعد على توضيح أبعاد المعاني المخفيّة خلف الأساليب البلاغية، مما يعمق فهم المتلقي للرسالة الإلهية، كما يسهم في إبراز توافق الألفاظ والمعاني مع مقتضيات الحال، مما يعزز إدراك القارئ لحكمة اختيار الألفاظ القرآنية ودلالاتها الدقيقة، ويجعل النص أقرب إلى العقل والقلب في آنٍ واحد.

ثانياً: تعريف الجملة الإنشائية:

الجملة الإنشائية هي الشكل الثاني من مقتضى الكلام بعد الجملة الخَبَرية، فالإنشاء في اللغة: الإيجاد والاختراع، نقول: "أنشأه الله: أي خَلَقَه، ونشأ ينشأ نشأ ونشوءاً ونشاءً ونشأةً ونشاءةً: أي حيِيَ، وأنشأ الله الخلق أي ابتدأ خلقهم"[(14)].

والإنشاء يختلف عن الخبر في أنه لا يحتمل التصديق أو التكذيب، وينقسم إلى طلب وغيره، ويعتبر بعض النحاة أن عبارات مثل "نعم الرجل زيد" و"كم غلاماً شريفاً" تعتبر من قبيل الإنشاء رغم أنها قد تشتمل على معانٍ خبريّة، وهذا يعتمد على كيفية فهم السياق[(15)]، وعليه... فالإنشاء في الاصطلاح: الكلام الذي يتوقفُ تحققُ مدلولِهِ على النّطق به، كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام والمدح والذم وغيرها، ومنه إنشاء العقود التي تتحقق بمجرد النطق بما يدل عليها، كقولك: زَوَّجتُكَ وأعتقتكَ وبعتُكَ وغيرذلك.

ويمكن القول إن الإنشاء هوالكلام الذي لا ينطبق عليه ما جرى في تعريف الخبر، فالخبر ما يمكن فيه الصدق والكذب، ولا يتوقف مدلوله على النطق به، يأتي الإنشاء بخلاف هذه القيود، فلا يمكن فيه التصديق والتكذيب، وبدون نُطقه لا يتحصَّلُ مدلولُه.

وينقسم الإنشاء إلى قسمين:

أ - الإنشاء الطلبي: وهو ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

ب - الإنشاء غير طلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً.[(16)]

وموضوع هذه الدراسة يدور حول مسائل الإنشاء الطلبي، ومباحثه هي: (الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء)،فبالرّغم من أنَّ الأصل فيها الحقيقة، إلا أنها خرجَت عن حقيقتها إلى معاني مجازيَّة بحسب السياق، الأمر الذي كان الأثر الواضح في تفسير الآيات.

وبعد استقراء الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة في القرآن الكريم، تبيّن أن الجمل الإنشائية فيها تتعلق بمبحثَي (الاستفهام) و (الأمر)، وحدود البحث هو دراسة أسلوبيهما بإذن الله.

ثالثاً: الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة في القرآن الكريم:

لقد اختار الباحث دراسة الآيات التي افتتحت بلفظ الجلالة، مع التركيز على دقائق مسائل البلاغة فيها، لما تتضمنه من تفاصيل تُبرز جمال الأسلوب القرآني وروعة تناسق الألفاظ مع المعاني.

بعد استقراء القرآن كاملاً تبيّن للباحث أن عدد الآيات التي تبدأ بلفظ الجلالة ثمانون (80) آية، ورد أولها في سورة البقرة، وآخرها في سورة الإخلاص، بحسب ترتيب المصحف الشريف، وقد جاءت على النحو الآتي:

34 آية تبدأ بـ (الله)، و17 آية تبدأ بـ (ولله)، و4 آيات تبدأ بـ (لله)، وآيتان تبدآن بـ (تالله)، وآية واحدة تبدأ بـ (وتالله) ، وآيتان تبدآن بـ (فلله)، و 20 آية تبدأ بـ (والله).

كما يشير الباحث إلى اعتماد (العدّ الكوفي) من علم عدّ الآي في هذه الدراسة ، لما ينطوي بين هذا العدّ وبين غيره من خلافات في تعيين رؤوس الآي.

المبحث الأول: التفسير البلاغي لأسلوب الاستفهام في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة

المطلب الأول: التعريف بأسلوب الاستفهام

الاستفهام: هو"طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدةٍ عمليةٍ مجهولةٍ لدى المستفهم"[17]، وقيل: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة"[18]، وعليه فإنّ الاستفهام يقوم على طلب الفهم أو الإعلام بهدف تحصيل فائدة غير معلومة للمستفهم، ويتم ذلك باستخدام أداة خاصة، ويُقصد به استجلاء علم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.

والألفاظ الموضوعة للاستفهام: (الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنَّى، ومتى، وأيَّان)، جاء بعضها للتصديق كـ (الهمزة) و(هل)، وبعضها لغير العقلاء كـ (ما)، أو للعقلاء كـ (من)، وما جاء لتعيين الزمان كـ (متى) و(أيَّان)، وبعضها كذلك للاستفهام عن الحال كـ (كيف)، أو للزمان كـ

(أين)، أو للعدد كـ (كم)، وما قام بعمَل كيف ومتى كـ (أنَّى)، أو ما جاء لتعيين أحد المتشاركين كـ (أيّ). (19)

والاستفهام في البلاغة يتجاوز وظيفته الأساسية في طلب الإجابة ليؤدي أغراضًا معنوية تفهم من سياق الكلام. ومن أبرز أغراضه البلاغية: الإنكار، والتسوية، والتعجب، والتوبيخ، والتحذير، والتنفير، والتمني، والنفي، والتحسر، والإقرار، والتشويق، والحث، والتهكم[20]، وغيرها من الأغراض التي تضفي عمقًا على النص وتُثري دلالاته بما يناسب مقتضى الحال.

---

[1](?) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم (711هـ) لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ (مادة فَسَرَ).

[2](?) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (مادة فَسَرَ)

[3](?) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله (794هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى 1367هـ، 1957م، (ج1، ص13).

[4](?) الزرقاني، محمد عبد العظيم (1367هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة (ج2، ص3).

[5](?) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الازدي (321هـ) جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1987م (ج1، ص369).

[6](?) ينظر: الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد (328هـ) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ، 1992م (ج1، ص72).

[7](?) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق (ج8، ص419).

[8](?) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ) الرسائل الأدبية، تقديم وتبويب وشرح د. علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1418هـ، 2002م (ج1، ص53).

[9](?) الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى المعتزلي (384هـ) النكت في إعجاز القرآن، صححه الدكتور عبد العليم، مكتبة الجامعة المليّة الإسلامية 1934هـ (ج1، ص1).

[10](?) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (395هـ)، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية بيروت، 1419هـ (ج1، ص10).

[11](?) القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة (ج1، ص41).

[12](?) ينظر: الصغير، د. محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار المؤرخ العربي بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ، 2000م (ج1، ص110).

[13](?) ينظر: عباس، د. فضل حسن (1432هـ)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس – عمان، الطبعة الأولى، 1437هـ 2016م (ج1، ص428).

[14](?) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، (ج1، ص170)

[15](?) ينظر: السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين (773هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2003 م، (ج1، ص419)

[16](?) ينظر: الجناجي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر (ص197).

[17](?) الميداني، البلاغة العربية، مرجع سابق (ج1، ص258)

[18](?) عتيق، عبد العزيز(1396هـ)، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م (ص88)

[19](?) ينظر: الصعيدي، عبد المتعال (1391هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، 1426هـ، (ج2، ص249)

المطلب الثاني: التفسير البلاغي لأسلوب الاستفهام في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة:

بعد استقراء الآيات المُفتتحة بلفظ الجلالة في القرآن الكريم، تبيّن أنَّها تحتوي على جُمَلٍ استفهامية عدّة جاءت لأغراض متعددة، على النحو الآتي:

أ – النفي:

إن النفي من خلال الاستفهام أقوى من النفي بمعناه المباشر المعهود، حيث إن "السر في جمال أسلوب الاستفهام والعدول إليه عن أسلوب النفي، هو أن الاستفهام في أصلِ وضعِهِ يتطلّبُ جواباً يحتاج إلى تفكير، ولمَّا كان المسؤولُ يجيبُ بعد تفكيرٍ ورويَّة عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من النفي ابتداءً"[21]، فالانتقال من الحال المعروف للنفي إلى النفي من خلال الاستفهام أجمل في الذوق وأبرع في البيان، وأركز في النفس وأعمق في الوجدان.

والاستفهام الذي يراد به النفي عرفه القرآن كثيراً، كقوله تعالى: (هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ) [فاطر: 3]، وقوله تعالى: (فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ) [الأحقاف: 35]، وقوله تعالى: (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ) [الرحمن: 60].

وقد يجيء الاستفهام فيوجَّهُ مجازاً ليفيد معنى النفي، ومن ذلك قوله تعالى في آية الكرسي: (مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ) [البقرة: 255]، و(من) حرف استفهام، وهو في الآية "استفهام بمعنى النفي، أي: ليس لأحدٍ أن يشفع عندَه لأحدٍ إلا بإذنه"[22]، ففي هذه الآية العظيمة تمجيدٌ لله تعالى ولصفاته وإبطالٌ لكفر الكافرين وقطعٌ لرجائهم[23]، لذلك ناسب انتفاء رجاء الشفاعة التي قد يتأملها هؤلاء من خلال هذا الاستفهام الذي يضرب في عمق النفي، إذ لا يمكن أن تتحصل لهم الشفاعة بحال.

قد تختلف أنظار العلماء في بيان معنى الاستفهام، وهذا طبيعي، لأن بيان الأغراض يرجع إلى الذوق، ففي هذه الآية مثلاً ورد في بعض كتب التفسير أن الاستفهام فيها جاء للإنكار إضافةً إلى النفي[24]، وفي بعض كتب البلاغة على أنه استفهامٌ للتعظيم[25]، إلا أن السياق يتضمن بياناً في العقيدة، فآية الكرسي "أعظم آية في كتاب الله تعالى، اشتملت على ثمانية عشر اسماً لله تعالى ما بين ظاهرٍ ومضمرٍ،

---

[20](?) ينظر: السامرائي، د. فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م (ج4، ص233 – 236)

[21](?) لاشين، عبد الفتاح (1443هـ)، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الرابعة، ، 1438هـ (ص133)

[22](?) النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي (710هـ)، التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى 1440هـ (ج3، ص326).

[23](?) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر (1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر – تونس 1984م (ج3، ص17)

وكلماتُها خمسون كلمة، وجملُها عشر جمل كلها ناطقة بربوبيته تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه"[26]، فهذا كله يقتضي القطع في الأحكام. إضافةً إلى قرينةٍ ذكرها السمين الحلبي، أنَّ (إلا) الواردة في الآية تكون للاستثناء من النفي[27]، وهذا يؤيد عدَّها للنفي، إلا أنه يمكن أن نعدَّ حرف الاستثناء (إلا) مكاناً لغرض التعظيم، ولا يَمنع، ويكون الاستفهام في الآية وكأنه "للإشارة إلى استحالة الشفاعة ، وكأنه قد سُئل وبحثَ عن نظيرٍ تكونُ له قدرة كقدرة الله حتى يكون شفيعاً عنده قريبا منه، فلم يوجد، لأن ذلك مستحيلٌ مطلقاً[28]، فلا إمكانية للشفاعة لهؤلاء قطعاً لآمالهم ورجائهم، اللهم إلا أن يأذنَ اللهُ بالشفاعة بعظمتِه وعلمِه وقدرتِه.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا) [النساء: 87] ففي استفهام (وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا) استفهَمَ بأداة (مَن) لا من أجل تحصيل علمٍ أو إدراك مطلوب، بل من أجل أن ينفي اعتبار أحدٍ أصدقُ منه سبحانه وتعالى، فالجملة "استفهامٌ بمعنى النفي: أي لا أحدَ أصدق منه في إخبارِه ووعدِه ووعيدِه لاستحالةِ الكذبِ عليه لقبحه لكونه إخباراً عن الشئ بخلاف ما هو عليه"[29]، وعندئذٍ ينصرف الذهن إلى إجابةٍ يُقدّرُها المخاطب، ليس المقصودُ إظهار هذه الإجابة، إنما المطلوب تحقيقُ النفيِ التامّ عن المتكلَّم عنه.

ويتبين من ظاهر الآية ما يدل على أن الله تعالى أثبت أنَّ القيامة ستوجدُ وستأتي لا محالة، وجعلَ الدليلَ على ذلك مجرد إخبارِه تعالى عنها[30]، ولأن أمر القيامة وأحوالها من الأهمية بمكان لزِم هنا تذكيرُ المخاطَب من خلال الاستفهام أنَّ كمالَ الصدقِ ثابتٌ لله سبحانه وتعالى منفيٌّ عمن سواه.

ب – التوبيخ والإنكار:

---

[24](?) ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (468 هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ (ج1، ص367).

[25](?) ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت (ص84)

[26](?) الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر (1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة، الطبعة الخامسة (1424هـ) (ج1، ص245).

[27](?) ينظر: السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (ج2، ص542)

[28](?) ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (ج2، ص 936)

[29](?) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (710 هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م (ج1، ص381)

[30](?) ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (606هـ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ،1420هـ (ج10، ص167)

وقد يأتي الاستفهام بغرض توبيخ المتكلَّم عنه والتغليظ عليه، وبيان دَخَن ما يعتقده، ويدخل في ذلك أن يكون الاستفهام كذلك إنكاراً له، فالاستفهام قد يكون للتوبيخ أو للإنكار أو لكليهما[31]حسب السياق، ومثاله من الآيات المفتَتَحة بلفظ الجلالة ما جاء في سورة النحل في موضعين:

الأول: قوله تعالى: (وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ) [النحل: 71]، فقد تحدثت الآية أن الله تعالى فضَّل بعض الخلق على بعض في قضية الرزق، فجعلهم متفاوتين فيه، - وهذا التفاوت ليس على إطلاقه بل هو متعلقٌ بأمورٍ تابعةٍ لحكمته سبحانه - ، فكان ما أعطى المُلّاك أفضل مما أعطى من ملكت أيمانهم، فلا يكون للذين فَضّلهم الله في الرزق على غيرهم أن يردّوا رزقَهم الذي رزقهم الله إياه على من ملكت أيمانهم - الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية - فالمالك والمملوك في الرزق سواء، وهم عند الله واحد.

إذن فهم يعطونهم ما شاؤوا وقتما شاؤوا ولا يرضَون مساواتهم في الرزق والرتبة، بل يقدمون ذلك ما يكفل عدم مساواتهم مع مُلكِ أيمانهم، قال أبو السعود: "فحيث لا يرضَون بمساواة مماليكهم لأنفسهم - وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية - لله عزَّ سلطانُهُ في شيء لا يختص بهم بل يعمّهم وإياهم من الرزق الذي هم أسوةٌ لهم في استحقاقه، فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق إلا به من الألوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعضَ مخلوقاته الذي هو بمعزلٍ من درجةِ الاعتبار!! وهذا كما ترى مَثَلٌ ضُرِبَ لكمالِ قَبَاحةِ ما فعله المشركون تقريعاً عليهم"[32].

وفي قول أبي السعود: "تقريعاً عليهم" ذهب إلى كونه إنكاراً يحمل معه التوبيخ والتقريع، متابَعةً لما ذهب إليه قبل ذلك في تفسير للآية.

وهذا يناسبه استفهام الإنكار التوبيخي، والموجّه إليهم في وِجهتهم، (أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ)، قال الزمخشري: "فجعل ذلك من جملة جحود النعمة"[33]، والأصل أن النعمة لا يجحدها عاقلٌ بأي شكل، بل هي من فعل من يُنكَر عليهم ذلك ويُستَبعَد.

---

[31](?) ينظر: الدسوقي، محمد بن عرفة (1230هـ)، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج2، المكتبة العصرية، بيروت (ص393)

[32](?) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ج5، ص127)

[33](?) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ (ج2، ص520)

وألفتُ النظر إلى أن الإنكار في هذا الاستفهام، إنما جاء لإبراز أنه اتَّجه إلى كونِ الجحودِ متعلقٌ بنعمةِ الله، وليس إلى مجرد الجحود بحد ذاته[34]، ومن دلائل هذا أنَّه قدَّم قولَه: (أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ) على (يَجْحَدُونَ) ، بخلاف ما لو قيل: (أيجحدون بنعمة الله!!)، إبرازاً للغرض الحقيقيّ للإنكار وهو تعلق الجحود بنعمة الله.

ومنه ما جاء في الآية التي تليها قوله تعالى: (وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) [النحل: 72]، وموضوعها ذكر نعمة الله سبحانه على عبيده، "بأن جعلَ لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم، ولو جعلَ الأزواجَ من نوع آخر لما حصل ائتلافٌ ومودةٌ ورحمةٌ، ولكن من رحمتِهِ أن خلقَ من بني آدمَ ذكوراً وإناثاً، وجعلَ الإناث أزواجاً للذكور"[35]، وهذا الترتيب العجيب والدقة المتناهية يكون بمثابة دليلٍ فطريّ على أن الله هو خالق هذا الكون العظيم بكل ما فيه، فما بال هؤلاء يُقدّمون عبادتهم لغير الله تعالى على ما ينبغي للفطرة أن تدلهم عليه، وهو الحق سبحانه وتعالى!!.

فجاء الاستفهام في جملتين معطوفتين على بعضهما بقوله: (أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) [النحل: 72]، بالإنكار التوبيخي، "والفاء في المعنى داخلةٌ على الفعل، وهي للعطفِ على مقدّر، أي: أيكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أوَبعدَ تحقّق ما ذُكرَ من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله تعالى الفائضة عليهم مما ذُكرَ ومما لا يحيط به دائرةُ البيان هم يكفرون حيث يضيفونها إلى الأصنام!!"[36].

وقد سماه (الباطل) لأن ما قدّموه في العبادة على المستحق للعبادة، هو عينُ البُطلان، "فالباطل: نقيض الحق، وهو ما لا ثبات له"[37]، ويتجسد في أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل[38]، وقيل: الباطل هنا هو الأصنام[39]، وقيل: هو إبليس ذاته[40].

34(?) ينظر: القدومي، سامي وديع عبد الفتاح شحادة، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح، الأردن – عمان (ص143)

35(?) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420 هـ (ج5، ص586)

36(?) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق، (ج5، ص128)

37(?) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى 1412هـ (ص129)

38(?) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ (ج17، ص 259)

39(?) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (ج20، ص245)

40(?) ينظر: ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المالكي (399هـ) ، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة – مصر- القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ (ج2، ص411).

ومما ورد من أسلوب الاستفهام الإنكاري، الاستفهام في ختام الآية في قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) [السجدة: 4]، إن هذا الآية تحمل جملةً من الدلائل على قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق السموات والأرض، وتبيان لمدى حاجة المخلوق إلى الخالق جل جلاله (مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ) ، ليجيء بعد ذلك الاستفهام الإنكاري لغرض الرد على عناد المعاندين، قال ابن عاشور: "فُرِّع على هذا الدليل إنكارٌ على عدم تدبّرهم في ذلك وإهمالِهم النظرَ بقوله: (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) ، فهو استفهام إنكاري"[41]، وقوله: (تَتَذَكَّرُونَ) من (الذُّكر) بضمّ الذال، وهو إعمال العقل والقلب، ويختلف (الذُّكر) عن (الذّكر) الذي يكون بفتح العين أو بكسرها أنّ (الذُكر) متعلقٌ بالقلب[42]، ومنه (الذكرى) وغيرها.

ج – الاستبعاد:

وقد يجيء الاستفهام لغرض استبعاد المقصود، وهو في القرآن كثير، كقول الله تعالى: (أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ) [الدخان: 13]، فاستفهمَ استبعاداً لإمكانية إيمان المكذبين واعتبارهم بعد وقوع البلاء.

ومن الآيات المصدّرة بلفظ الجلالة، والتي جاء فيها الاستفهام لغرض الاستبعاد، قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [الروم: 40]، وقد جاءت هذه الآية بعد الأمر بإيتاء أصحاب الحقوق حقوقهم، والفرق بين ربا المال عند الناس وعند الله، وأن من قدَّم زكاةً يريد بها وجه الله فهو المستحقُّ للمضاعفة والبركة، ناسب ذلك الافتتاح بلفظ الجلالة إيذاناً بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق والمميت والمحيي، واستبعاداً لاعتبار إمكان القيام بشيء من ذلك ممن يَدعوهم أهل الشرك بشركهم، قال الزمخشري: "هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أنداداً له من الأصنام وغيرها من يفعل شيئاً قط من تلك الأفعال، حتى يصح ما ذهبتم إليه؟، ثم استبعد حاله من حال شركائهم"[43]، إذ لا يمكن ذلك.

وقد بيَّن ذلك الطّيبي في الحاشية، أن (مَن) لبيان من يفعل ذلك، وأن متعلقه محذوف تقديره: هل حصل واستقرَّ من يفعل كائناً من شركائكم؟!، أنكر أن يكون لهم شركاء تفعل ما يفعل الباري. وأنَّ (مِن) في قوله تعالى: (مِن ذلكم) للتبعيض، أي: يفعل بعض ما يفعله الباري ولو أقل شيء[44].

41(?) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج21، ص212

42(?) ينظر: ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي (909 هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة – السعودية الطبعة الأولى، 1411هـ (ج3، ص316)

43(?) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (ج3، ص482)

وقد ذهب بعضُ المفسرين إلى اعتباره استفهاماً إنكارياً[45]، وبعضهم عدَّه للنفي[46]، لكنَّ غرضَ الاستبعاد أدقّ، فالأمر فيه تفصيلٌ لبيان تعجيزهم أمام كل أمرٍ مما ذُكر في الآية[47] وهذا بعيدٌ عنهم أشدَّ البُعد، وما ذهب إليه الزمخشري باعتباره استبعاداً بين الله وبين شركائهم هو أكثرُ عُمقاً، وفي محصّلة الأمر لا يَمنعُ أن تكون هذه الأغراض قد خدمت السياق مجتمعة، فهو إنكارٌ عليهم، ونفيٌ لاحتمال فِعلهم، واستبعادٌ لإمكانية قدرتهم.

المبحث الثاني: التفسير البلاغي لأسلوب الأمر في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة

المطلب الأول: التعريف بأسلوب الأمر

والأمر: "هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء – حقيقياً كان هذا الاستعلاء أو مجازياً - والإلزام"[48].

والأمر له أربعُ صيَغ[49]:

1 – فعل الأمر: كقوله تعالى: (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ) [البقرة: 43]، فجاءت (أقيموا) و (آتوا) و (اركعوا) أفعال أمر.

2 – المضارع المقرون بلام الأمر: (لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ) [الطلاق: 7]، فاللام في (لينفق) لام أمر، و(ينفق) فعلٌ مضارع.

3 – اسم فعل الأمر : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ) [المائدة: 105]، و(عليكم) اسم فعل أمر بمعنى (الزموا).

4 – المصدر النائب عن فعل الأمر : (وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا) [النساء: 36]، بمعنى: وأحسنوا إلى الوالدَين إحسانا.

44(?) ينظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434 هـ (ج12، ص253)

45(?) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق، (ج7، ص62)

46(?) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (ج21، ص107)

47(?) ينظر: الطيبي، فتوح الغيب، مرجع سابق، (ج12، ص253).

48(?) الحسيني، السيد جعفر السيد باقر، أساليب المعاني في القرآن، مطبعة مؤسسة بوستان - مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي - قم – إيران، الطبعة الرابعة (ص51)

49(?) ينظر: عتيق، علم المعاني، مرجع سابق، (ص75 – 77)

وشأن الأمر كشأن الاستفهام وغيره، قد يخرج عن معناه الأصلي - أي الأمر بـالإلزام والاسـتعلاء - إلى معـاني أخـرى مجازيـة يـدلّ عليهـا السـياق وتنبّـه عليهـا قـرائن الأحـوال كالـدعاء والإرشـاد والتخيـير والالتماس والتهديد والتعجيز والتحقير، وقد جاءت في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة ثلاثة مواضـع الأول من سورة النساء والثاني من سورة الأعراف والثالث من سورة هود، أما موضع سـورة هـود فلم يخـرج عن كونه جاء بصيغة الأمر على حقيقته وهو قول الله تعالى: (وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْـهِ يُرْجَـعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [هـود: 123]، ففيـه أمـرٌ من الله لنبيـه صـلى الله عليـه وسـلم بالعبـادة والطاعـة والاسـتقامة على التوحيـد، وأن يفـوّض إليـه جميـع أمـوره فهـو كافيـه وكافله[50]، والنبي صلى الله عليه وسلم ينبغي عليه أن يأتمر بأمر ربه سبحانه.

المطلب الثاني: التفسير البلاغي لأسلوب الأمر في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة

لقد جاء أسلوب الأمر في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة يحمل أغراضاً بلاغية، نذكرها على النحو الآتي:

أ – الإرشاد:

وأولها من سورة النساء قال الله تعـالى: (وَلِلَّهِ مَـا فِي ٱلسَّـمَٰوَٰتِ وَمَـا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُـواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُـرُواْ فَـإِنَّ لِلَّهِ مَـا فِي ٱلسَّـمَٰوَٰتِ وَمَـا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَـانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) [النساء: 131]، وفي بيان إعراب (أنْ) خلافٌ[51] في أنها "إما أن تكون مصـدرية وهي والفعـل مؤوَّلة بمصدر مجرور بالباء والتقدير: (وصيناكم بتقوى الله)، وإما أن تكون تفسيريَّة أي: والجملة بعدَها تعرَبُ جملةً تفسيريةً لا محل لها من الإعراب"[52].

والظاهر في الآية أن الأمر فيها على حقيقته، وهذا لا يُمنع، قال الزمخشـري في تفسـير الآيـة: "أمرنـاهم وأمرنـاكم بـالتقوى"[53]، وقـال النسـفي: "وجبت طاعـة الله فيمـا وصـى بـه، لأن لـه ملـك السـماوات والأرض"[54]، فهو أمرٌ من الله، وطاعة أمر الله واجبة، لكن ثمّة قرائن تدفع إلى عدّهِ أمراً يحمـل الإرشـاد ضمن ما نَصَّت الآية عليه، خصوصاً مفردة (الوصية).

---

[50](?) ينظر، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مرجع سابق، (ج2، ص92)

[51](?) ينظر: الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مرجع سابق، (ج4، ص112)

[52](?) صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق - مؤسسـة الإيمـان، بـيروت، الطبعـة الثالثة 1416هـ (ج3، ص196)

[53](?) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (ج1، ص574)

[54](?) النسفي، التيسير في التفسير، مرجع سابق، (ج5، ص218)

فقد دعا الله سبحانه من كان قبلكم كما دعاكم إلى أن تتقوا الله تعالى في كل أعمالكم، ففي ذلك عزّكم ومجدكم ومنعتكم وطمأنينتكم واعتصامكم[55].

فالذي أوضح أنّ الأمر قد يحمل معه غرض الإرشاد "أنه سبحانه لم يقل: (شَرَعنَا للذين أوتوا الكتاب من قبلكم)، ولم يقل: (فَرَضنَا)، إنما قال: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا)، وكلمة (وصية) تُشعِرُ المتلقّي لها بحبّ المُوصِي للموصّى له"[56]، والوصية قولٌ يحملُ الأمرَ بشيءٍ نافعٍ جامعٍ لخيرٍ كثيرٍ، ويقصد منها هنا جلبُ وعيِ السامعِ، واستحضارِه كلمةَ (الوصية) في سائر أحواله[57]، قال الراغب: "والوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ"[58]، ففيها معنى الإرشاد ومعنى النُّصح، وبعض كتب البلاغة تسمي هذا الغرض (النُّصح والإرشاد) أو (الوعظ والإرشاد) في آنٍ واحد.

قال البيضاوي: "ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص"[59]، فعدَّ الإخلاص هو العنوان التزكوي الذي سيقت الآية من أجله، وبالرغم من أحقيّة مقام الإخلاص وأهميته، إلا أنه يقع ضمن موضوعات التزكية والتربية القلبية، والعبرة بتفاوت مقداره كمالاً ونقصاناً في قلوب العابدين.

إنَّ من أبرز الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هي الدعوة إلى التقوى والإخلاص، وهما أساسان جوهريان في بناء شخصية المؤمن وارتباطه بالله تعالى، فقد جعل القرآن التقوى معياراً للتفاضل بين الناس، ودعا إلى تحصيلها كوسيلةٍ للفلاح في الدنيا والآخرة، بينما ركزت السنة على الإخلاص في النية والعمل، وبيّنت أنه لا يُقبل عمل إلا إذا كان خالصًا لوجه الله موافقاً لشرعه.

والأمر بالتقوى لم يقترن بـ (الوصية) في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، والذي جاء في سياق حفظ الود بين الزوجين بعد التفرّق، وقد عوَّدنا القرآن كذلك أن غالب مواطن الأمر بالتقوى تحمل معها الترغيب والتحفيز لا الترهيب والتخويف، كما في قوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) [البقرة: 189]، وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ) [الأنفال: 29]، وقوله سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) [الحديد: 28]، الأمرُ

---

[55](?) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، مرجع سابق، (ج4، ص388)

[56](?) الشعراوي، محمد متولي (1419هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم – مصر 1997م (ج5، ص 598)

[57](?) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (ج5، ص220)

[58](?)الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، (ص373)

[59](?) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ (ج2، ص101)

الذي يدفع بالميل إلى اعتبار أنَّ الأمر المقترن بالوصية قد يكون للإرشاد، فضلاً عن اقتران التقوى بالترغيب والدعوة إلى مزيد القرب.

وكذلك الذي يليه، وهو موضع سورة الأعراف، قوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الأعراف: 180]، وغرضه الإرشاد أيضاً، في الأمر الأول: (فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ)، أما الأمر الثاني: (وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) ، فله غرضٌ آخر.

لقد سُبقت الآية بقوله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ) [الأعراف: 179]، وفي الآية إشارةٌ إلى حال الكفرة وأنهم إلى جهنم لا محالة، كما أشارت الآية إلى تشبيههم بالأنعام في ضلالهم وقلة عقولهم وانغلاق قلوبهم، فهم مثلهم لا يفقهون ولا يعقلون ولا يحصلون علماً مما يسمعون كحال الأنعام[60]، "فلما أنتجَ هذا أنّ لهم الأسماء السوأى ولمعبوداتهم أسوأ منها، عطفَ عليه دفعاً لوهمِ من يتوهَّم بالحكم بالضلال والذرء لجهنم ما لا يليق، وتنبيها على أن الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله ودعائه"[61] قولَه تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الأعراف: 180]، ففيها الإرشاد إلى الدعاء بأسماء الله الحسنى وصفاته التي تليق بعظمته سبحانه وتعالى، فالدعاء: "معناه استدعاء العبد ربَّه عز وجل العنايةَ واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه"[62]. فهو عبادةٌ تضيف للمسلم كل هذه المعاني توجيهاً للطريق الأقوم والمنهج الأسلَم.

قال الزحيلي في تفسير الآية: "وفوائدُ الأمر بذكر الله في الآية: (فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ) كثيرة: منها ترسيخُ معالم الإيمان وتنميتُه، وتحقيقُ مراقبة الله والخشوعُ له، والرغبةُ فيما عنده، وتهوينُ شأن الدنيا ولذاتِها"[63].

ويمكن اعتبار الأمر في الآية للإباحة، وقد ذهب إلى ذلك ابن جزي رحمه الله، قال في تفسير الآية: "(فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ) : أي: سمُّوهُ بأسمائه، وهنا إباحةٌ لإطلاقِ الأسماءِ على الله تعالى"[64]. فالأمر في الآية كما

60(?) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ (ج2، ص480*

61(?) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى 1984م (ج8، ص175)

62(?) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (388هـ)، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى 1404هـ (ص4)

63(?) الزحيلي، وهبة (1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى1411هـ (ج9، ص178)

يرى رحمه الله إنما جاء لإباحة الدعاء بأسماء الله الحسنى، وليس لإعلام المكلَّفينَ بأن ثمة شيءٍ جديدٍ اسمه (الدعاء).

من جهةٍ أخرى، ورد في القرآن التوجيه بالدعاء بالأسماء الحسنى في القرآن في أربعة مواضع، أولها: هذه الآية من سورة الأعراف، والثاني: قوله تعالى: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ) [الإسراء: 110]، والثالث: قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ) [طه: 8]، والرابع في خواتيم الحشر وآخرها قوله تعالى: (هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) [الحشر: 24].

ويبدو أن غرض الإرشاد في هذا السياق أكثر جلاءً وأعمق دلالة من مجرد اعتبار الأمر للإباحة فحسب، وذلك لأن الإرشاد يحمل بعدًا خاصًا يتميز عن الإباحة العامة، بينما يمكن القول إن كل إرشاد يتضمن الإباحة ضمنياً، فالإرشاد يختص بالأمور ذات الأهمية والقيمة التي يُوجه إليها الإنسان لتحقيق منفعة أو دفع ضرر، في حين أن الإباحة قد تشمل أفعالاً لا تتصف بالضرورة بهذه الأهمية، نقول: الإرشاد، وهو من الرُّشد، "والرُّشد: هو الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلُّبٍ فيه، وغالبُ استعماله للاستقامة بطريق العقل، ويستعمل للاستقامة في الشرعيات أيضاً، ويستعمل استعمال الهداية"[65]، قال الغزالي خلال شرحِهِ لاسم الله (الرشيد): "ورشدُ كلّ عبدٍ بقدرِ هدايتِهِ في تدابيره إلى ما يُشاكلُ الصوابَ من مقاصده ودينه ودنياه"[66]، وقال رحمه الله في الإحياء أيضاً : "وأما الرُّشد: فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقوّيه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده"[67]، إذن... فالإرشاد رتبةٌ أعلى من رتبةِ الإباحة أو مجرد البيان والتوضيح وهي محض اصطفاءٍ من الله سبحانه وتعالى لأهل الخصوص من عباده.

ب – التحذير:

وقد يجري الأمر مجرى التحذير، إذا كان طلباً للكفِ عن أذى أو سوء أو تحذيرٍ من خطبٍ ما، فيأتي ذلك ضمن بعض الأفعال المشهورة، كقولنا: احذر، أو تجنَّب، أو تباعَد.

64(?) ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى1416هـ (ج1، ص 314)

65(?) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت (ص476)

66(?) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (505 هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى، 1987م (ص149)

67(?) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت (ج4، ص108)

والتحذير من فروع الأمر والنهي، وينطبق عليه ما ينطبق عليهما، وقد عدَّتهُ بعض كتب البلاغة نوعاً مستقلاً من أنواع الإنشاء إلى جانب التمني والاستفهام والنداء والدعاء وغيرها[68]، ومن المعلوم أن التحذير يكون من أغراض الخبر كذلك[69]، فلا يمنع اعتباره غرضاً مجازياً من أغراض الإنشاء، ولو لم يكن مذكوراً في معظم كتب البلاغة.

ومنه هنا قوله تعالى: (وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) [الأعراف: 180]، ففي بداية الآية كان الإرشاد إلى الدعاء بالأسماء الحسنى، وهنا تَبعَه التحذير ممن يلحدون في أسمائه بالترك والإهمال، وقوله: (وَذَرُواْ) ، "يقال: فلان يذر الشيء أي: يقذفُهُ لقلةِ اعتدادِهِ به"[70] ، والإلحاد في اللغة: ميلٌ عن استقامة، يقال: ألحدَ الرَّجلُ، إذ مالَ عن طريقة الحقّ والإيمان"[71]، وبالتالي فهم الذين أجرموا بميلهم عن الحق فألحدوا في أسماء الله وأخذوا يسمُّون اللات نظيراً إلى اسم الله تعالى، والعزى نظيراً إلى العزيز، ويسمون الله رباً ويسمون أوثانهم أرباباً وغير ذلك[72]، فالحذر من هذا الصنف سواءً وقتَ التنزيل أم في كل حقبة من الزمن هو أمرٌ من الأهمية بمكان.

وقد ذهب القرطبي ونقل عنه الشوكاني إلى أن الأمر (وَذَرُواْ) ، للوعيد، كقوله تعالى: (ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا * وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا * وَبَنِينَ شُهُودٗا * وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا) [المدثر: 11-14]، بقرينة قوله تعالى: (سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) [الأعراف: 180][73]، ولا يخالف أن يكون وعيداً لمن ألحد في أسماء الله من أهل ملة الكفر، إلا أن الغرض إلى تحذير المؤمنين أقرب، فهم المخاطبون في صدر الآية بقوله: (فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ)، وبمجرد تحذير المؤمنين أصلاً فإن ذلك يعدُّ تعريضاً للملحدين بالوعيد، لذا فقرينةُ التحوُّل من غرض تحذير المؤمنين إلى عدّه وعيداً للملحدين بعيدة.

الخاتمة:

في ختام البحث، تمَّ التَّوصُّل إلى عدة نتائج، كانت جزءاً من ثمرات هذه الدِّراسة، وأهمُّها:

68(?) ينظر: الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي (ت 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م ، (ج1، ص239)

69(?) ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية - بيروت (ص56)

70(?) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، مرجع سابق، (ص362)

71(?) الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ (ج5، ص236)

72(?) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، (ج2، ص481)

1 - أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم يتجاوز كونه طلبًا للمعلومة، ليصبح وسيلةً بديعةً تقرّبُ المعاني إلى وجدان السامع، وتثيرُ لديهِ التفكير والتّأمل في مدلولات النص، وقد جاء في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة في القرآن بأغراض عدّة وأبرزها: النفي، والتوبيخ، والإنكار، والاستبعاد.

2 – أسلوب الأمر في القرآن الكريم لا يكون توجيهه على حقيقته فحسب، بل بعضه محض إشارات بلاغية تحمل معاني دقيقة توصل المقصود إلى الذهن بوضوح وفاعلية، مما يبرز تنوع وظائف

---

[73](?) ينظر، القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م (ج7، ص328)

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المالكي (399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة – مصر- القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ.

2- ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي (909 هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة – السعودية الطبعة الأولى، 1411هـ.

3- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى1416هـ.

4- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الازدي (321هـ) جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1987م.

5- ابن عاشور، محمد الطاهر (1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر – تونس 1984م.

6- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.

7- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

8- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ.

9- ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم (711هـ) لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ.

10- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

11- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

الخطاب القرآني، وقد اتّضحت معالم هذا الأسلوب في الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة في القرآن في حمل أغراض عدّة وأبرزها: الإرشاد، والتحذير.

3 ـ الآيات التي تبدأ بلفظ الجلالة في القرآن الكريم تتسم بالحشد البلاغي (كأسلوب الاستفهام والأمر) وتحتوي على جوانب بلاغية دقيقة تستحق التفسير والتحليل.

12- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب) (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى 1412هـ.

13- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد (328هـ) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ، 1992م.

14- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى 1984م.

15- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.

16- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ) الرسائل الأدبية، تقديم وتبويب وشرح د. علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1418هـ، 2002م.

17- الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر (1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة، الطبعة الخامسة (1424هـ).

18- الجناجي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر.

19- الحسيني، السيد جعفر السيد باقر، أساليب المعاني في القرآن، مطبعة مؤسسة بوستان - مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي - قم – إيران، الطبعة الرابعة

20- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (388هـ)، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى 1404هـ.

21- الدسوقي، محمد بن عرفة (1230هـ)، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت

22- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ،1420هـ.

23- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ.

24- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى المعتزلي (384هـ) النكت في إعجاز القرآن، صحَّحه الدكتور عبد العليم، مكتبة الجامعة المليّة الإسلامية 1934هـ.

25- الزحيلي، وهبة (1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى1411هـ.

4 – البحث في الأساليب البلاغية (كالاستفهام والأمر) يعين الباحث على إدراك العلاقة بين النص القرآني ووجدان الإنسان، مما يؤكد أن القرآن يخاطب العقل والقلب معاً، ليبقى أثره خالداً في كل زمانٍ ومكان.

التوصيات:

وعلى ما سبق.. يوصي الباحث بما يأتي:

26- الزرقاني، محمد عبد العظيم (1367هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

27- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله (794هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى 1367هـ، 1957م.

28- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ.

29- السامرائي، د. فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

30- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

31- الشعراوي، محمد متولي (1419هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم – مصر 1997م.

32- صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثالثة 1416هـ.

33- الصعيدي، عبد المتعال (1391هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، 1426هـ.

34- الصغير، د. محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار المؤرخ العربي بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ، 2000م.

35- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1422هـ.

36- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434هـ.

37- عباس، د. فضل حسن (1432هـ)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس – عمان، الطبعة الأولى، 1437هـ 2016م.

38- عتيق، عبد العزيز(1396هـ)، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

39- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (395هـ) الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية بيروت، 1419هـ.

1 - التفسير البلاغي للقرآن الكريم مرآة تعكس عظمة الرسالة الإلهية، إذ تتجلى فيها قدرة الله عز وجل في إيصال المعاني بأوجز الألفاظ وأبلغ الأساليب، وهو ما يجعلها مادة خصبة للدراسات الأدبية واللغوية لكل العاملين في هذا المضمار ليبذلوا الجهد في إبراز جوانب جديدة من أسرار البيان القرآني.

40- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت.
41- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (505 هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى، 1987م.
42- القدومي، سامي وديع عبد الفتاح شحادة، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح، الأردن.
43- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.
44- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة.
45- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
46- لاشين، عبد الفتاح (1443هـ)، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الرابعة، ، 1438هـ.
47- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي (ت 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م.
48- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (710 هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م
49- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي (710هـ)، التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى 1440هـ.
50- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت.
51- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
52- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (468 هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ.

2 - على علماء التفسير والبلاغة اليوم أن يسهموا في تقريب هذا العلم للناس من خلال تجديد الخطاب البلاغي بأساليب ميسرة وواضحة، مع ربط المفاهيم البلاغية بحياة الناس اليومية، لتعزيز فهم النصوص، خاصة القرآن الكريم، وجعل البلاغة أداة فعالة في التواصل والإبداع.